Sharwes Scientific Journal (SSJ)
Volume 6, Issue 1, 2025, pp 33-55, ISSN 3079-6040

The Method of Interpretation by Narratives and Opinion in Al-Shamakhi's Interpretive Opinions from his Book Al-Idah

Said Bin Sulaiman Bin Khalfan Al-Waili

College of Sharia Sciences, Muscat, Sultanate of Oman.

*Corresponding Author: Said Al-Waili | salwali@css.edu.om

Received: 19-02-2025 | Accepted: 14-05-2025 | Available online: 31-05-2025 | DOI:10.26629/ssj.2025.03

ABSTRACT

This research has significant scientific elements associated with Sharia sciences, the most important of which are the science of Quranic interpretation and fiqh science, including its branches. This is presented through a jurisprudential book in which the author discusses the Quranic verses and explains their meanings. In this, he relies on the method of interpreters through narration and opinion, then reveals the meaning he perceives in the Quranic text. One of the reasons that led me to choose this topic is its connection to the science of interpretation, which holds honor and prestige, alongside its connection to the legal aspect in the book 'Al-Ihdaah' that is rich in interpretative meanings, thus defining the author's vision within the scientific community among experts and scholars. The subject has its importance derived from its association with knowledge, as on one hand it is closely related to the ranks of knowledge and scholars, and on the other hand it is connected to the Holy Quran and its sciences, and to the science of interpreting the Quranic text and its divine indications and guidance. Additionally, it ties in with the science of fiqh and its various branches that the author of 'Al-Ihdaah' discusses in his book. It also connects with what has been presented by a group of Muslim scholars belonging to the Jabal Nafusa area and its surroundings, confirming their connection to the science of interpretation and their interest in it. The problem of the study lies in the search for interest in interpretation.

In the Ibadi school of thought, concerning the Quranic texts in the comprehensive works that cover the branches of religious sciences such as monotheism, jurisprudence, and others, can we find evidence of this in the Ibadi literature? This leads to the following questions: - What is the level of interest in interpretation among the scholars of the Ibadi school? - Is there a connection in the book 'Al-Iidah' between the science of jurisprudence and the science of interpretation? - What methodology did the author of 'Al-Iidah' follow in his interpretive opinions? - Did he rely in his interpretive views on the method of interpretation by narration, by reasoning, or did he combine both? The objectives of this research are the following points: - Highlighting the interpretative interests of the jurists of the Ibadi school. - Demonstrating the connection between the science of interpretation and the science of jurisprudence in a complementary system. - Showing the methodology followed by the author of 'Al-Iidah' from the methods of interpretation in his interpretive opinions. - Highlighting the impact of combining the methods of interpretation in what the scholars of interpretation produce in service of the Quranic text. In this research, I relied on the inductive method and the analytical method among the research methodologies. The research material is presented in an introduction, two main sections, and a conclusion: The introduction includes a definition of Al-Shamakhi and his scientific status,

"Articles published in *Sharwes Sci J* are licensed under a Creative Commons Attribution-Non-Commercial 4.0 International License."

while the first section outlines the method of interpretation by narration according to Al-Shamakhi, along with examples of opinions.
The interpretative approach in this way is from the book 'Al-Iydah', and the second section presents an exposition of the method of interpretation by opinion according to Al-Shamakhy, along with examples of his interpretive views. Then, the conclusion includes the prominent findings reached by the research. Praise be to Allah, the Lord of the worlds, first and last.

Keywords: Al-Ma'thoor, Opinion, 'Al-Iydah, Al-Shamakhy.

طريقة التفسير بالمأثور وبالرأي في الآراء التفسيرية للشماخي من خلال كتابه الإيضاح

سعيد بن سليمان بن خلفان الوائلي

كلية العلوم الشرعية، مسقط، سلطنة عمان

*المؤلف المراسل: سعيد الوائلي | salwali@css.edu.om

استقبلت: 19-02-2025م | قبلت: 14-05-2025م | متوفرة على الانترنت | 31-05-2025م | DOI:10.26629/ssj.2025.03

ملخص البحث

لهذا البحث عناصر علمية مهمة مرتبطة بالعلوم الشرعية، التي من أهمها علم التفسير القرآني، وعلم الفقه بما يشتمل عليه من فروع، من خلال كتاب فقهي يتعرض فيه صاحبه إلى ذكر الآيات القرآنية وبيان المعاني المتعلقة بها، وهو في ذلك يعتمد على طريقة المفسرين بالمأثور وبالرأي، ثم يظهر المعنى الذي يراه في النصّ القرآني.

من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع ارتباطه بعلم التفسير الذي له الشرف والرفعة، وما يتصل بالجانب الفقهي في كتاب الإيضاح الذي يزخر بالمعاني التفسيرية، لتتحدد رؤية مؤلفه في الوسط العلمي بين أهل العلم والمعرفة.

إن للموضوع أهميته التي يستمدها مما ينتسب إليه من علم، فمن جهة له اتصاله الوثيق بدرجات العلم والعلماء، ومن جهة أخرى له ارتباط بالقرآن الكريم وعلومه، وبعلم التفسير للنص القرآني وما له من دلالات وإرشادات ربانية، ومن جهة ثالثة له ارتباط بعلم الفقه وفروعه المتعددة التي طرقها صاحب الإيضاح في كتابه. وله ارتباط بما قدمه طائفة من علماء المسلمين ممن ينتمون إلى جبل نفوسة وما حولها، فقد تأكد ارتباطهم بعلم التفسير والاهتمام به.

مشكلة الدراسة تكمن في البحث عن الاهتمام بالتفسير القرآني لدى المذهب الإباضي، في المؤلفات الجامعة لأبواب العلوم الشرعية من التوحيد والفقه وغيرها، فهل نجد لذلك أثرا في المؤلفات الإباضية؟

ويتفرع عن ذلك الأسئلة التالية:

- ما مدى الاهتمام بالتفسير عند علماء المذهب الإباضي؟
- هل يوجد في كتاب الإيضاح ربط بين علم الفقه وعلم التفسير؟
- ما المنهج الذي اتبعه صاحب كتاب الإيضاح في آرائه التفسيرية؟
- وهل اعتمد في الآراء التفسيرية على طريقة التفسير بالأثر أم بالرأي أم جمع بينهما؟

تكمن أهداف هذا البحث في النقاط التالية:

- إبراز الاهتمامات التفسيرية لدى فقهاء المذهب الإباضي.
- بيان الترابط بين علم التفسير وعلم الفقه في منظومة تكاملية.
- إظهار المنهج الذي يتبعه مؤلف كتاب الإيضاح من طرق التفسير في آرائه التفسيرية.
- إبراز أثر المزج بين طرائق التفسير فيما ينتجه علماء التفسير خدمة للنص القرآني.

قد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي من بين المناهج البحثية.

عرضت مادة البحث في تمهيد ومبحثين مع المقدمة والخاتمة: يتضمن التمهيد تعريفا بالشماخي ومكانته العلمية، جاء في المبحث الأول بيان لطريقة التفسير بالمأثور عند الشماخي، ونماذج للآراء التفسيرية بهذه الطريقة من كتاب الإيضاح، والمبحث الثاني جاء فيه بيان لطريقة التفسير بالرأي عند الشماخي، ونماذج من آرائه التفسيرية بها، ثم الخاتمة وفيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث. والحمد لله رب العالمين أولا وأخيرا،

الكلمات المفتاحية: المأثور، الرأي، الإيضاح، الشماخي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا، والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فقد كان لعلماء الشريعة أدوار بارزة في خدمة الإسلام والمسلمين، وقدموا في إنتاجاتهم الفكرية وإسهاماتهم المعرفية ما يعبرون به عن اهتمامهم بذلك حسب قدرتهم وقدر إمكاناتهم، وكان لعلم التفسير حظه من التأليف والتدوين على اختلاف المستويات، سواء أكانت معرفية، أم مذهبية، أم منهجية، بما جعل المكتبة الإسلامية زاخرة بالمؤلفات في هذا المجال.

إنّ علم التفسير الذي يخدم النص القرآني في المقام الأول، قد اعتنى بمقاصد التشريع فيما يخدم الحياة الإنسانية في مقام آخر، وهذا ما نجده مسطرا في اهتمامات طائفة من العلماء بالجانب التفسيري وإن

كان تأليفهم مرتبطا بالجوانب الفقهية، مع ما لكل وضع من ضوابط ومعالم تخصه يتعامل معه بها، ومثال ذلك ما نجده عند أبي ساكن عامر الشماخي(ت: 792هـ/ 1389م) في كتابه الإيضاح.

يأتي هذا البحث ليسلط الضوء على الاهتمام بالتفسير القرآني في كتاب فقهي، والنظر إلى ما يعتمد عليه من طرق التفسير المعتبرة، التي يعتمد عليها علماء التفسير، وأهمها: طريقة التفسير بالمأثور وطريقة التفسير بالرأي.

من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع ارتباطه بعلم التفسير الذي له الشرف والرفعة، وما يتصل بالجانب الفقهي في كتاب الإيضاح الذي يزخر بالمعاني التفسيرية، لتتحدد رؤية مؤلفه في الوسط العلمي بين أهل العلم والمعرفة، وقد تمّ إعداده في فترة إجازة التفرغ العلمي الذي انتسبت فيه إلى كلية الإلهيات بجامعة صكاريا بتركيا.

إن للموضوع أهميته التي يستمدها مما ينتسب إليه من علم، فمن جهة له اتصاله الوثيق بدرجات العلم والعلماء، ومن جهة أخرى له ارتباط بالقرآن الكريم وعلومه، وبعلم التفسير للنص القرآني وما له من دلالات وإرشادات ربانية، ومن جهة ثالثة له ارتباط بعلم الفقه وفروعه المتعددة التي طرقها صاحب الإيضاح في كتابه. وله ارتباط بما قدمه طائفة من علماء المسلمين ممن ينتمون إلى جبل نفوسة وما حولها، حيث إنّ مؤلفاتهم تؤكد ارتباطهم بعلم التفسير والاهتمام بدلالات النص القرآني.

مشكلة الدراسة تكمن في البحث عن الاهتمام بالتفسير القرآني لدى المذهب الإباضي، في المؤلفات الجامعة لأبواب العلوم الشرعية من التوحيد والفقه وغيرها، فهل نجد لذلك أثرا في المؤلفات الإباضية؟

ويتفرع عن ذلك الأسئلة التالية:

- ما مدى الاهتمام بالتفسير عند علماء المذهب الإباضي؟
- هل يوجد في كتاب الإيضاح ربط بين علم الفقه وعلم التفسير؟
- ما المنهج الذي اتبعه صاحب كتاب الإيضاح في آرائه التفسيرية؟
- وهل اعتمد في الآراء التفسيرية على طريقة التفسير بالأثر أم بالرأي أم جمع بينهما؟

يهدف البحث في دراسته لهذا الموضوع إلى جملة من الأهداف، أضعها في النقاط التالية:

- إبراز الاهتمامات التفسيرية لدى فقهاء المذهب الإباضي.
- بيان الترابط بين علم التفسير وعلم الفقه في منظومة تكاملية.
- إظهار المنهج الذي يتبعه مؤلف كتاب الإيضاح من طرق التفسير في آرائه التفسيرية.
- إبراز أثر المزج بين طرائق التفسير فيما ينتجه علماء التفسير خدمة للنص القرآني.

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

ومن النتائج البحثية المتوقع التوصل إليها أن للإباضية دوراً بارزاً في علم التفسير، يدلّ على ذلك ما ضمنوه كتبهم الفقهية التي جمعت أبواب الفقه مع التفسير. وأن صاحب الإيضاح قد مزج بين طريقتي التفسير: بالمأثور وبالرأي أثناء عرضه للآراء التفسيرية التي بثها في كتابه الإيضاح. وأن الاهتمام بجانب التفسير للنص القرآني كان بارزا بصورة واضحة في مؤلفه.

من أبرز الدراسات السابقة:

- بحث بعنوان منهج الشماخي في كتابه الإيضاح، للباحث: جمعة بن سعود الكندي، بحث مقدم لاستكمال درجة الماجستير، في المعهد الأعلى لأصول الدين، بجامعة الزيتونة بالجمهورية التونسية، لعام 1423هـ/ 2002م. درس البحث المنهج الفقهي لصاحب الإيضاح في بعض أجزائه، وسيتناول هذا البحث ما يتعلق بالمنهج التفسيري.
- بحث بعنوان تفسير الآيات للعلامة الشماخي (ت: 792هـ) من خلال كتابه الإيضاح، إعداد محمد بن عمر كرير، قدمه لاستكمال متطلبات الحصول على درجة البكالوريوس في العلوم الشرعية، بكلية العلوم الشرعية بمسقط، عام 1439هـ/ 2018م. جمع البحث الآراء التفسيرية للشماخي من خلال كتابه الإيضاح، ويتناول هذا البحث طريقة الشماخي في تفسيره وليس مجرد جمع لآرائه التفسيرية.
- دراسة اتجاهات التفسير ومناهجه عند إباضية الجزائر، لدليلة بنت محمد بن عيسى خبزي، جاءت الدراسة لبحث جوانب الفكر في التفسير الإباضي في القطر الجزائري من القرن 13هـ إلى أوائل القرن 15هـ، ودراسة الاتجاهات التفسيرية مبينة لخصائصها.[1]

ويأتي هذا البحث لبيان الطريقة التي اعتمدها صاحب الإيضاح عندما يفسر الآية القرآنية التي يتعرض لبيانها أثناء مناقشته الفقهية لما يذكره من موضوع، فتكون الإضافة البحثية في الارتباط بالمنهج التفسيري واعتماد الشماخي على طريقتي التفسير بالمأثور وبالرأي.

مخطط الدراسة: قسمت الورقة البحثية إلى تمهيد ومبحثين؛ فبدأت بالتمهيد وجعلته في التعريف بشخصية الشماخي ومكانته العلمية، والمبحث الأول: طريقة التفسير بالمأثور عند الشماخي، والمبحث الثاني: طريقة

[1]) خبزي، دليلة بنت محمد بن عيسى، اتجاهات التفسير ومناهجه عند إباضية الجزائر من القرن 13هـ إلى أوائل القرن 15هـ، جمعية التراث، الجزائر، ط1.

التفسير بالرأي عنده، وجعلت كل مبحث منهما مشتملا على مطالب تخدم عناصر الموضوع، ثم الخاتمة في بيان أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

ويكون الاعتماد في كتابة هذا البحث على المصدر الأساس وهو كتاب الإيضاح، بالإضافة إلى ما يمكن الرجوع إليه من المصادر والمراجع المساندة في ذلك، مع ملاحظة أني لم أقم بتخريج الآيات والأحاديث التي تكون ضمن النصوص المقتبسة، وذلك من أجل الاختصار في البحث، ونسأل الله العون والتوفيق والسداد.

تمهيد:

يجدر بنا في هذا البحث أن نذكر تمهيدا للموضوع التعريف بشخصية المفسر الذي نوجه إليه العناية بالدراسة، وهو أبو ساكن عامر الشماخي، رغم المواضع المتعددة التي تعرف به، من دراسات بحثية تناولت جوانب معرفية تعلقت بشخصيته.

ونحيل إلى مواضع من تلك المراجع لزيادة النظر والتوسع في التعريف بهذا العلم من جبل نفوسة.[2]

صاحب كتاب الإيضاح هو أبو ساكن عامر بن علي بن عامر الشماخي، عالم من العلماء البارزين من الإباضية في جبل نفوسة بليبيا، يعدّ مجددا للمذهب الإباضي فيه، وقد كان يلقب بما يدل على مكانته العلمية والاجتماعية في الجبل، حيث كان يلقب بـ: (يِسّفاو)، وهي كلمة بربرية تعني النور الهادي أو ضياء الدين، أو المضيء والمنير.[3] ممن أخذ عنهم العلم من علماء جبل نفوسة: الشيخ أبو موسى عيسى بن

2) من جملة المراجع المعرفة بالشماخي: بابا عمي، محمد بن موسى، وآخرون، معجم أعلام الإباضية– قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2/240. والشماخي، عامر بن علي، الإيضاح، د. ن، ط4، 1999، ص/ هـ– ز. والشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط2، 1992م، 2/ 198–200. ومعمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، السيب، ط2، 1993، 2/ 113.

3) كرير، محمد بن عمر، تفسير الآيات للعلامة الشماخي من خلال كتابه الإيضاح، بحث تخرج مقدم للحصول على شهادة البكالوريوس بكلية العلوم الشرعية بمسقط، ص6.

عيسى الطرميسي[4] الذي كان له أثر كبير في العملية التعليمة، والشيخ أبو عزيز بن إبراهيم بن أبي يحيى[5]. وكل من الشيخين الطرميسي وأبي عزيز قد اشتهرا بالعلم والورع على ما سطر عنهما في السير.[6]

وقد أخذ عنه العلم جملة ممن تتلمذ على يديه من طلبة العلم والمعرفة، لو وقفنا عندهم لطال المقام بذكرهم والتعريف بهم.[7]

كان لهذا العالم اهتمام بالغ بالتدريس والتأليف، أثرّ ذلك في أوساط مجتمعه، ففي مجال التدريس يذكر عنه أنه أنشأ مدرسة في بلده يفرن اهتم فيها بنشر العلم والمعرفة والثقافة الدينية، ثم أسند التدريس فيها إلى بعض طلابه وانتقل إلى مدرسة أبي زيد المزغورتي، وهي مدرسة من أشهر مدارس جبل نفوسة، أُنشئت في أول أمرها على صورة حلقة للعلم والتعليم على يد أبي زيد المزغورتي[8] من علماء جبل نفوسة، وتخرج فيها علماء لهم دورهم البارز في العلم والتعليم، فعمل الشماخي على تنظيمها وترتيب أقسامها الداخلية، ثم انتقل إلى أرض الرحيبات وبقي فيها ما يقرب من ثلاثة عشر سنة بذل فيها جهودا في نشر العلوم الدينية، ثم رجع إلى مدرسته ببلده يفرن واستقر فيها إلى أن وافاه الأجل.[9]

وفي مجال التأليف: له مؤلفات شاهدة على مكانته العلمية، منها:

- كتاب متن الديانات: وهو كتاب في العقيدة، ألفه لنوح بن حازم[10].
- قصيدة في الأزمنة: هي منظومة في حساب الشهور والفصول.

4) أبو موسى عيسى بن عيسى الطرميسي(ت: 722هـ/ 1322م): من علماء جبل نفوسة، أطلق عليه لقب شيخ الإسلام، أخذ العلم عن الشيخ يحيى وجدليش، اشتهر بالعلم والتعليم والورع. انظر: الشماخي، السير، 2/ 193. وبابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، 2/ 332.

5) أبو عزيز بن إبراهيم بن أبي يحيى الباروني (ت: 746هـ/ 1345م): علم من آل بارون بجبل نفوسة، أخذ العلم عن أبي موسى الطرميسي، ثم صار في مرتبة شيخه من بعده، من كتبه: لقط أبي عزيز. انظر: الشماخي، السير، 2/ 194. وبابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، 2/ 290.

6) الشماخي، السير، 2/ 193-194.

7) ممن أخذ عنه العلم: ابنه أبو عمران موسى، وابن ابنه سليمان، وأبو يعقوب يوسف بن مصباح، وأبو عمران موسى بن أبي يوسف، وأبو زكريا يحيى بن زكريا، وأيوب الجيطالي، وأبو القاسم البرادي، وآخرون. انظر: بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، 2/ 240.

8) أبو زيد المزغورتي: يعدّ من مشايخ جبل نفوسة في القرن الثاني الهجري، ويوصف بأنه كان مستجاب الدعاء، أنشأ حلقة لنشر العلم وتعليمه، وتوجد مدرسة سميت باسمه تخرج فيها علماء. بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، 2/ 240.

9) معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، ص114-115.

10) نوح بن حازم المرساوني (ت: 806هـ): أخذ العلم عن أبي ساكن عامر الشماخي، وأخذ عنه كثيرون، كان له حظ من خدمة العلم والعبادة والزهد في الدنيا، ولم يرزق بولد. انظر: الشماخي، السير، 2/ 204.

- كتاب الإيضاح: وهو كتاب في الفقه المقارن بين أقوال العلماء، يوضِّح الآراء ومستنداتها، ويرجِّح ما يراه صوابا بالحجَّة والدليل؛ طبع عدة طبعات، وللقطب حاشية عليه سمَّاها حيَّ على الفلاح.[11]

وكان له دور اجتماعي كبير لا يخفى في أوساط مجتمعه، عُبر عنه بكلمات لها مضامين بالغة وأبعاد حضارية، تدعو الناظر إلى الوقوف عندها لتحقيق ما تدلّ عليه، وهي ما نجده في هذا النصّ المقتبس في الترجمة له: " كان مرجع الفتوى في جبل نفوسة للإباضية وغيرهم. ووصف بأنه كان واسع الاطِّلاع، جمَّ المعرفة، دائم المدارسة، متحرِّر الفكر، صادقًا، وقورًا، حكيمًا، حليمًا، له في الاجتهاد في الإقراء والعبادة والحزم، وإحياء السير أمر كبير"[12]. ومن العبارات الدالة على مكانته العلمية: قول صاحب السير عنه: "إذا أطلق الشيخ في عرف زماننا [يعني القرن التاسع والعاشر] فهو المعنيُّ"[13]. وقد كانت وفاته عام 792هـ/ 1389م بواحة يفرن، بعد أن عمر طويلا.[14]

وبالنظر في كتاب الإيضاح فإننا نجده من الجوامع الفقهية التي جمعت ضمن أبواب الفقه مادة علمية في أبواب العلوم الشرعية من عقيدة وتفسير وأخلاق وغيرها، وإن كان لم يفرد لكل باب فصلا مستقلا به، إذ هو في أصله كتاب فقهي يعنى بتناول أبواب الفقه المختلفة، من مسائل الصلاة ووظائفها وأبواب الصيام والزكاة وما يتبعها من مسائل الفقه بأنواعه المعروفة.

مما تجدر الإشارة إليه تعريفا بالكتاب أنّ صاحبه اعتمد على المنهج المقارن في عرض الأقوال المختلفة، سواء أكان ذلك على مستوى المذهب الواحد أم على مستوى المذاهب الإسلامية، حيث لم يعتمد على رأيه أو رأي إمام مذهبه فقط، كما لم يقتصر على المذهب الإباضي الذي ينتمي إليه في ذكر الآراء في القضية التي يناقشها، فكتاب الإيضاح يشتمل على آراء كثير من علماء المذهب الإباضي، ويحتوي على آراء بعض المذاهب الأخرى بالتصريح أحيانا، وبالتضمين أحيانا أخرى.[15]

11) بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، 2/ 240.

12) بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، 2/ 240.

13) الشماخي، السير، 2/ 199.

14) بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الإباضية، 2/ 240.

15) يشتمل كتاب الإيضاح على آراء كثير من علماء المذهب الإباضي، ويحتوي على آراء بعض المذاهب الأخرى بالتصريح أحيانا، وبالتضمين أحيانا أخرى، ومن التصريح على سبيل المثال: ما ذكره من آراء المذهب الشافعي كما في: الإيضاح، 1/ 96، وعن المذهب الحنفي كما في: الإيضاح، 2/ 14، والمذهب المالكي كما في: الإيضاح، 2/ 16. أما مواضع التضمين فكثيرة جدا، كأن يذكرهم بأوصاف مثل: أهل الفقه، واتفاق الجميع، والمخالفين، من الأمثلة على ذلك: الإيضاح، 1/ 345، 1/ 611، 2/ 21، 3/205- 208.. وغيرها.

مما يدل على القيمة العلمية للكتاب قول صاحب السير عنه: "وهذا التأليف ما أظنّ ألّف في المذهب مثله، جمعا وتعليلا، واختصارا غير مخل، وتطويلا غير مملّ ولا مكرر، وهو اعتماد أهل المغرب في وقتنا خصوصا نفوسة، وبعده ديوان أبي زكريا يحيى بن الخير"[16]. فوصفه الكتاب بأنه هو اعتماد أهل المغرب فيه دلالة صريحة على المكانة المعتبرة والقيمة العلمية للكتاب وصاحبه.

ولما كان في كتاب الإيضاح من أقوال العلماء وآراؤهم المعتمدة على الأدلة الشرعية، والتعرض لذكر نصوص الآيات القرآنية التي يحتاج الموقف إلى جلاء معانيها، فإنّ مؤلفه لم يغفل عن ذكر تلك المعاني للآيات التي يُستدل بها، وقد اجتمعت مادة علمية مرتبطة بتفسير آي القرآن الكريم، تدعونا إلى النظر في منهجية الفقيه المفسر، فنتعرف على طريقته التي اعتمد عليها، وهذا ما نستعرضه في هذه الدراسة.

لبيان طريقة التفسير عند الشماخي ننطلق من نقطة محددة وهي أنّ للتفسير طرائقه المعروفة، من تفسير بالأثر، وتفسير بالرأي، ومزج بين الطريقتين، حيث تناول العلماء في تفسير القرآن هذه الطرائق التفسيرية التي كان أثرها في تحديد علم التفسير ووصف المفسر بمنهجه في التفسير، وكيفية تعامله معه، وقد ظهرت هذه الطرائق في المؤلفات التي تعنى بعلوم القرآن بصورة غير خافية.[17]

لنا أن نقتبس في هذا المقام مما يذكر هذه الأقسام نظما، قول الكندي[18]:

"وباعتبار آخر قد ينقسم إلى ثلاثة وكل قد علـــم

فمنه ما يكون بالروايــة يدعى بمأثور وبالدرايـــة

وذاك بالرأي وبالإشارة وهو الإشاري لدى العبارة"[19]

تكون البداية مع طريقة التفسير بالمأثور باعتبار تقدمها في الذكر عند ذكر هذه الأقسام، فننظر كيف كان تعامل الشماخي مع بيان الآيات القرآنية بهذه الطريقة ثم بالتي تليها.

16) الشماخي، السير، 2/ 199.

17) ينظر في ذلك إلى: شريفي بلحاج عدون، التفسير ومناهجه عند علماء الإباضية، بحث ألقي في الملتقى الخامس عشر للفكر الإسلامي، الجزائر، 1980، ص1 وما بعدها.

18) الكندي، عبدالله بن سيف الكندي: عالم معاصر من علماء ولاية نخل بسلطنة عمان. الباحث.

19) الكندي، عبدالله بن سيف، كتاب عقود العقيان في ذكر شيء من مباحث القرآن، ط1، د.ن، ص177.

المبحث الأول: طريقة التفسير بالمأثور عند الشماخي

طريقة التفسير بالمأثور طريقة معتمدة على الأثر المروي في استمداد مادة التفسير، وقد عرف التفسير بالمأثور بأنه: "ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه"[20]. بالإضافة إلى ما نقل عن التابعين على الخلاف في ذلك بين العلماء، أي في تضمينه لمعنى ما اصطلح عليه بالتفسير بالمأثور، من أجل ذلك نجد في جملة من كتب التفسير كثيرا من الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين في بيان معاني القرآن الكريم، فيعد من التفسير بالمأثور.[21]

إن دواعي اختيار طريقة التفسير بالمأثور عن غيرها من الطرق تختلف من مفسر لآخر، حسب التوجهات والاهتمامات التي يعتني بها صاحب التفسير، وقد كان للشماخي اهتمام ظاهر في الاعتناء بالتفسير الأثري والاعتماد عليه، ومع أنه لم يقتصر عليه إلا أنه يعكس لنا جانبا من اهتماماته العلمية بهذه الطريقة التفسيرية. نعرض ذلك في مطلبين، الأول: وصف عامّ لمنهج التفسير بالمأثور عند الشماخي، والثاني: نماذج من تفسيره بهذه الطريقة.

المطلب الأول: الوصف العامّ للتفسير بالمأثور عند الشماخي

عندما نبحث في الآراء التفسيرية للشماخي، نجد الاعتناء بتفسير النص القرآني الذي يورده، سواء أكان مستشهدا به على أمر أو مستدلا به على حكم، هذا الارتباط بمعاني الآيات القرآنية بطابع يغلب عليه الوصف التفسيري، وإن كان لا يفسر كل كلمة فيها، ولا يتعرض لكل ما تحمله من معنى، وإنما يقتصر على بيان المعنى الذي يفيد موضع الاستشهاد منها والاستدلال بها، لما يخدم الموضع والغرض الذي سيقت له.

إنّ الشماخي في مواضع متعددة من كتابه الإيضاح يذكر معنى من معاني الآيات القرآنية التي يوردها، ويربط ذلك المعنى بما تحمله آية أخرى من دلالتها، أو يبيّن المعنى من نصها بدلالة آية أخرى، في إطار ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن، سواء أكان بيانا لمجمل أو تخصيصا لعام أو تقييدا لمطلق أو نسخاً أو غير ذلك من الدلالات البيانية للقرآن الكريم.

---

[20]) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ج2/ ص12. وهذا معنى ما أورده طائفة من العلماء، منهم الزركشي والسيوطي وغيرهما، ينظر في ذلك: الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1990م، 2/ 313. والسيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 1999م، 2/ 443-456.

[21])الزرقاني، مناهل العرفان، ج2/ ص13.

كذلك نجده في مواضع من كتابه يستعين بالسنة النبوية لدلالة الآية القرآنية وبيان معناها فيما يعرضه من معناها، فيسوق الحديث النبوي مؤكدا للمعنى ومبينا له من منطلق أن السنة النبوية شارحة لمعاني القرآن الكريم، فيكون بذلك مرتبطا بعنصر من عناصر التفسير بالمأثور وهو التفسير بالسنة النبوية وما روي عن الرسول ﷺ في هذا الباب، وستأتي النماذج في العناصر التالية عارضة لهذه الفكرة بصورة واضحة.

أمّا ما يؤثر عن الصحابة والتابعين فإنه يوجد له حضور واسع في مواضع التفسير بالمأثور عند الشماخي، إذ لم يكتف بمجرد عرض المعنى من الدليل أو ذكره من غير مستند مروي في مواضع ذكرها، ومما يلفت النظر أنه يذكر ذلك في مواضع من غير نسبة إلى أشخاص معينين، حيث يذكرها منسوبة إلى أهل التفسير أو إلى العموم من الصحابة والتابعين، وفي مواضع أخرى يعزوها إلى من تنسب إليه من الشخصيات من الصحابة كابن عباس وغيره، ومن التابعين كجابر بن زيد وغيره، وينظر في المادة التفسيرية التي تضمنها الكتاب حيث يوجد التنصيص على ذلك في موضعه.

هنا يتحدد أن للشماخي مصادره العلمية التي يستند إليها في إثبات ما ينقله من تفسير بالمأثور، إذ إن العملية فيها نقل لمادة علمية عن جهة أخرى، وهو وإن كان في ذلك حسب طريقة القدامى في النقل لم يكن موثقا للمعلومة المقتبسة وفق التوثيق العلمي المعاصر، إلا أنه في بعض المواضع يشير إلى بعض المصادر التي يقتبس منها المعلومة، ككتاب تفسير الخمسمائة آية[22]، والجوامع لعلماء المذهب الإباضي كجامع ابن بركة وجامع أبي الحواري وجامع ابن جعفر، وغيرها.[23] مع أنه في مواضع يقتصر على الإشارة إلى الكتب على العموم، كأن يقول: "ذكر في بعض كتب أصحابنا"[24]، ويشير إلى ما يذكره عن غير علماء المذهب الإباضي[25].

المطلب الثاني: نماذج من التفسير بالمأثور عند الشماخي

نعرض في هذا المطلب نماذج من التفسير بالمأثور عند الشماخي حسب العناصر المحددة للمأثور، من تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة أو بما روي عن الصحابة بالإضافة إلى ما نقل في ذلك عن التابعين.

من تفسير القرآن بالقرآن:

---

[22]) وقع ذكره في مواضع، منها: الشماخي، الإيضاح، 2/ 417. وكتاب تفسير الخمسمائة آية هو لأبي الحواري محمد بن الحواري(ق: 3هـ)، مطبوع بعنوان: الدراية وكنز الغناية في تفسير خمسمائة آية، بتحقيق: محمد زناتي، د. ن، ط1، 1991م.

[23]) وقع ذكرها في مواضع من كتاب الإيضاح، انظر على سبيل المثال: الإيضاح، 269/1، 1/ 281، 1/ 605.

[24]) يوجد التنصيص بذلك عنده في مواضع، منها: الشماخي، الإيضاح، 1/ 213، 1/ 293، وغيرها.

25) مثال ذلك: الشماخي، الإيضاح، 147/1.

عند ذكره لآية الوضوء تعرض لبيان إدخال المرفق في الغسل فقال: "الدليل أنا رأينا المحدودات على ضربين: حدّ من جنس المحدود حدّه يدخل فيه، كقوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) [النساء: 2]. ومحدود إلى غير جنسه حده لا يدخل فيه، كقوله تعالى: (ثمّ أتموا الصيام إلى الليل) [البقرة: 187] فذلك حدّ وانتهاء، وكذلك قوله تعالى: (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) [مريم: 85]. وكان المرفقان من جنس المحدود، ولذلك وجب أن يدخلا في الغسل"[26]. وفي هذا بيان أن الشماخي استدل بآية على معنى آية من قبيل تفسير القرآن بالقرآن نفسه.

ومنه ذكره لتخصيص رمضان بالصيام من العموم حيث قال: "فإن قال قائل: فليس في هذه الآية ما يدل على تخصيص الصوم بشهر رمضان، قيل له: خصته آية أخرى، وهو قوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) [البقرة: 185]، أي الأيام المعدودات التي كتب عليكم الصيام فيهن هي شهر رمضان، ثم قال تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فعرفه بالألف واللام تعريف العهد ليدل أن الشهر المذكور هو المتقدم ذكره"[27]. ولا يخفى أن تخصيص عموم الآيات، والنظر إلى دلالة الخاص من الألفاظ له ارتباط بإدراك المعنى واستنباط الأحكام والحكم من النص[28].

ومن ذلك ذكره للمطلق والمقيد كما في بيانه لقوله تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) [البقرة: 285]، حيث قال: "فأطلق ولم يقيّد، فأثبتنا له كل الإيمان نطقاً واعتقاداً وامتثالا، وقال في آية أخرى: (قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) [المائدة: 41]، فقيّد إيمانهم بأفواههم ولم يطلق كما أطلق في الآية الأخرى"[29].

ومن ذلك ما ذكره في دعاوي النسخ من نسخ القرآن بقرآن مثله، حيث جاء عند ذكره لآية الصيام من قوله تعالى: (وعلى الذين يطيقونه) [البقرة: 184]، قوله: "اختلف الناس في تفسير هذه الآية، قال بعضهم: الآية منسوخة نسختها آية الصوم، وقال آخرون: ليست بمنسوخة وحكمها باق"[30].

---

[26]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 70.

[27]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 146.

28) ينظر في ذلك إلى: السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد، شرح طلعة الشمس على الألفية، وزارة التراث، مسقط، ط، 1981م، 1/ 369. والخليلي، جواهر التفسير، 1/ 19.

[29]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 108.

[30]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 191.

ومن الملفت للنظر أن الشماخي يعتمد على القراءات القرآنية في بيان المراد من النصّ، حيث إنّ معرفة بعض المعاني من القرآن الكريم متوقفة على معرفة وجوه قراءاته[31]، فهو يتعرض لذكر القراءات القرآنية في أكثر من موضع عند بيانه لمعنى الآية القرآنية، من ذلك على سبيل المثال: عند ذكره لمعنى الباء في آية الوضوء واستشهد بقوله تعالى (تنبت بالدهن) [المؤمنون: 20]، قال: "على قراءة من قرأ (تنبت) بضم التاء من أنبت"[32]. وعند ذكره لغسل الرجلين في الوضوء قال: "وأصل هذا الاختلاف القراءتان المشهورتان في آية الوضوء، قراءة من قرأ (وأرجلكم) بالنصب عطفا على المغسول، وقراءة من قرأ (وأرجلكم) بالخفض عطفا على الممسوح"[33]. وعند ذكر الحج وما يتعلق به من قوله تعالى: (وأتموا الحج والعمرة لله) [البقرة: 196]، قال: "ففي هذه الآية دليل على وجوب الحج والعمرة جميعا. وقال بعض: العمرة نافلة، واحتجوا بقراءة ابن مسعود (وأتموا الحج والعمرة) بنصب الحج ورفع العمرة"[34].

نلحظ في هذه الأمثلة أن الشماخي ينص على القراءة القرآنية، حيث يثبت أن الآية قرأت بأداء معين، ويترتب على ذلك أن يحمل النص على معنى معين قد يختلف عن غيره بقراءة أخرى، بل يؤصل لاختلاف العلماء في التفسير وبيان المراد من النص برجوع ذلك إلى الاختلاف في القراءات كما في آية الوضوء، وكما في بيان حكم العمرة ما بين القائلين بالفرضية والنفل بدلالة القراءة.

هذه نماذج من تفسير القرآن بالقرآن، حيث ذكر الشماخي تفسير النص القرآني معتمدا على موضع آخر من آيات القرآن الكريم.

ومن تفسير القرآن بالسنة النبوية:

عند ذكره للأفعال التي تنقض الوضوء ذكر منها النظر، ثم قال: "والدليل على هذا قول الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) [النور: 30] الآية، مثال ذلك النظر على العمد إلى فروج بني آدم البالغين منهم إلا الأزواج فيما بينهما فإن النظر بينهما مباح لا ينقض الوضوء كنظره إلى نفسه، الدليل على ما قلنا ما روي أنه قال عليه السلام: (ملعون من نظر إلى عورة أخيه) أو قال: (فرج أخيه). وقال عليه السلام: (لعن الله الناظر والمنظور إليه)"[35].

31) الخليلي، سماحة أحمد بن حمد، جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، مسقط، ط1، 1984م، 1/ 19.
32) الشماخي، الإيضاح، 1/ 73.
33) الشماخي، الإيضاح، 1/ 80.
34) الشماخي، الإيضاح، 2/ 227.
35) الشماخي، الإيضاح، 1/ 141-142.

ومن ذلك عن ذكره لاشتراط الطهارة في مسّ المصحف، قال: "قال قوم: إنها شرط في مسّ المصحف، وقال آخرون: ليست بشرط، وسبب الخلاف تردد المفهوم من قوله تعالى: (لا يمسه إلا المطهرون) بين أن يكون المطهرون بني آدم، وبين أن يكون الملائكة، وبين أن يكون هذا الخبر مفهومه النهي، وبين أن يكون خبراً لا نهيا. فمن فهم من المطهرين بني آدم وفهم من الخبر النهي قال: لا يمسّ المصحف إلا الطاهر. ويعضد هذا ما روي عن جابر بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ في الجنب والحائض والذين لم يكونوا على طهارة: (لا يقرأون القرآن ولا يطأون مصحفا بأيديهم حتى يكونوا متوضئين)"[36].

ومن ذلك تفسيره للصعيد من قوله تعالى: (فتيمموا صعيدا طيبا) [المائدة: 6] بأنه التراب وحده بدلالة الخبر المروي عن الرسول ﷺ، فقال في ذلك: "فأما الخبر فما روي من طريق ابن عباس رضي الله عنهما: (أنّ النبي عليه السلام قال حين سئل عن التيمم: جعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا) فهذه الرواية تمنع المتيمم من التيمم بغير التراب، وأعم دلالة الصعيد أن يدلّ على ما تدل عليه الأرض"[37].

ومن ذلك عند ذكره لشروط الحجّ، ذكر شروط الوجوب فقال: "فمنها الاستطاعة لقوله تعالى: (من استطاع إليه سبيلا)، واختلف المسلمون في الاستطاعة ما هي؟ قال قوم: من وجد زادا وراحلة فقد وجب عليه الحج، والدليل على هذا القول ما روي أنه قال عليه السلام: (الاستطاعة زاد وراحلة)"[38].

ومن تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

عند بيانه لما ينقض الوضوء تعرض لذكر العورة التي لا يجوز النظر إليها فقال: "والمرأة كلها عورة إلا الوجه والكفين؛ لقوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها) [النور: 31]. ذكروا عن عبدالله بن مسعود (ما ظهر منها الثياب) وذكروا عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما ظهر منها الكحل والخاتم)" ثم بعد أن ذكر أصناف المحارم قال: "فلا يحل لهؤلاء في تفسير الحسن أن ينظروا إلى الشعر والصدر والساق وأشباه ذلك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ينظرون إلى موضع القرطين والقلادة والسوارين والحجالين، فهذه الزينة الباطنة"[39].

ومن ذلك عند ذكره لممنوعات الإحرام ذكر منها إلقاء التفث، ثم قال عنه: "وهو المعني بقوله تعالى: (ثمّ ليقضوا تفثهم) [الحج: 29]، وهو أخذ الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبطين وحلق العانة والأخذ من الشعر

---

[36]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 151.

[37]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 298-299.

[38]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 228.

[39]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 144- 148.

كأنه خروج من الإحرام إلى الإحلال"، ثم قال: "ولا يغسل رأسه من غير جنابة في حال الإحرام، لأنه ممنوع في حال الإحرام من قتل القمل ونتف الشعر وإلقاء التفث، والغاسل رأسه إما أن يفعل هذه كلها أو بعضها، وفي حديث ابن عباس إجازة ذلك"[40]. ثم ساق حديث ابن عباس وإرساله رجلا إلى أبي أيوب الأنصاري ليسأله كيف كان يغسل رسول الله ﷺ رأسه وهو محرم؟

ومن ذلك أيضا ما جاء من نقله التفسير في صفة الاستئذان عن ابن عباس رضي الله عنهما وكذلك عن زيد بن أسلم، حيث كان نقله للتفسير عنهما صريحا في قوله: "قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) [النور: 27]، وفي التفسير ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: حتى تستأنسوا: أي تنحنحوا أو تنخموا، قال بعضهم: وتسلموا على أهلها هي مقدمة من تأخير أي حتى تسلموا وتستأنسوا،... وفي التفسير ذكروا عن زيد بن أسلم قال: جئت إلى ابن عمر فقلت: أألج عليكم، فقال: ما اللج؟ فقال: قل السلام عليكم، أأدخل"[41].

حرصت في هذه النماذج أن تكون نماذج محددة، تجنبا للإطالة، وفي الكتاب أمثلة كثيرة يمكن الرجوع إليها لمن أراد متابعة الأصل الذي نتحدث عنه، إذ إن الشماخي عرض آيات عديدة بمعانيها التي ترتبط بالتفسير بالمأثور بفروعه المذكورة.

المبحث الثاني: طريقة التفسير بالرأي عند الشماخي

طريقة التفسير بالرأي طريقة يستمد فيها التفسير من جهة العقل، فيمكن تعريفة بدلالة كلمة (الرأي) التي يراد بها الاجتهاد، فإن التفسير بالرأي والاجتهاد يكون ببيان معاني الكتاب العزيز وكشف المراد منه حسب ما يتوصل إليه العالم بما عنده من علم وما توصل إليه من رأي بنظره واجتهاده.

وقد قُسّم التفسير بالرأي إلى جائز وغير جائز، أو محمود ومذموم.

فإن كان الاجتهاد في التفسير مستندا إلى ما يجب الاستناد إليه من أصوله وقواعده، بعيدا عن الجهالة والضلالة، فالتفسير به من الجائز المحمود، وإن لم يكن كذلك فهو من غير الجائز، الذي يُرفض ويُذم.

والأمور التي يجب أن يستند إليها صاحب الرأي في التفسير بهذه الطريقة: يمكننا أن نلخصها في شروط المفسر. فمن فسر القرآن برأيه واجتهاده ملتزما بما ذكر في شروط المفسر فيما يرى من معاني كتاب الله، كان تفسيره مبنيا على الأصول التفسيرية حسب ما يطلق عليه بعض العلماء والدارسين في هذا الباب،

[40]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 266-267.

[41]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 618. ونقتصر على ذكر النماذج من الجزءين الأول والثاني، من أجل الاختصار، ولأن هذه إنما نماذج تدل على أمثالها من مواضع الذكر في الكتاب.

ومن حاد عن هذه الشروط، وفسر القرآن من غير اعتماد عليها وغير تمكن فيها، فإن تفسيره يكون مخالفا للأصول والقواعد التي يلتزم بها في هذا العلم.

مما يلاحظ هنا، أن التفسير بالرأي الجائز يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، مما ينير السبيل للمفسر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفا بقوانين اللغة خبيرا بأساليبها، وأن يكون بصيرا بأمور الشريعة ومقاصد الدين حتى ينزل كلام الله على المعروف من التشريعات والأحكام.

وقد اختلف العلماء في حكم التفسير بالرأي بين مجيز ومانع، واعتمد كل قول على أدلة تؤيد ما ذهب إليه[42]. ومع الأخذ والردّ وتجاذب الأقوال في الحكم بين المؤيدين والمانعين إلا أنه يمكن أن يجعل الخلاف لفظيا، بأن يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي على التفسير بالرأي المستوفي لشروطه، فإنه يكون حينئذ موافقا لكتاب الله وسنة رسوله وكلام العرب، وهذا جائز ليس بمذموم ولا منهي عنه، ويحمل كلام المانعين للتفسير بالرأي على ما فقدت فيه شروط التفسير، فإنه يكون حينئذ مخالفا للأدلة الشرعية واللغة العربية وهذا غير جائز، بل هو محط النهي ومصب الذم.

قد كان للشماخي اهتمام بارز في إجلاء المعاني من الآيات القرآنية ونقلها من مقام الخفاء إلى مقام التجلي، بالاعتماد على القدرة العلمية عنده مما يكون من قبيل التفسير بالرأي، ونعرض لهذا الجانب من اهتماماته العلمية بهذه الطريقة التفسيرية في مطلبين، الأول: تقسيم المسائل والتفريع عليها، والثاني: الاعتماد على دلالات اللغة العربية.

المطلب الأول: تقسيم المسائل والتفريع عليها

تقسيم المسائل والتفريع عليها يعدّ من الأمور الدالة على قدرة العالم على الاستنباط بالرأي والاجتهاد، من أجل ذلك يشار إلى بعض المفسرين بإمامتهم في العلم والتفسير بالرأي[43]، خاصّة عندما يتميز في تأصيله للمسائل وإبداء أقسامها والتفريع عليه.

42) الزرقاني، مناهل العرفان، مج2/ ص46.

43) منهم: العلامة فخر الدين الرازي، محمد بن عمر(ت: 606هـ) المشهور بخطيب الري صاحب التفسير المسمى مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: قال الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات: "أتى (الرازي) في كتبه بما لم يسبق إليه؛ لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها، وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدل بأدلة السبر والتقسيم، فلا يشذ فيه عن تلك المسألة فرع له بها علاقة، فانضبطت له القواعد وانحصرت له المسائل". الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، 176/4.

من هنا نجد للشماخي أثراً بارزاً في هذا المجال، بما يؤكد اعتماده على طريقة التفسير بالرأي عند بيانه لمعاني الآيات القرآنية، من النماذج في ذلك عندما تعرض لبيان الهدي في الحج وذكر ما ذكر من المعنى المستفاد من قوله تعالى: (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) [الحج: 33]، ذكر بعد ذلك أقسام الهدي فقال: "والهدي المسوق في هذه العبادة منه واجب ومنه تطوع، فالواجب: منه ما هو واجب بالنذر، ومنه ما هو واجب في بعض أنواع هذه العبادة مثل هدي المتمتع والقارن والمحصر عن الحج في قول بعضهم، ومنه ما هو واجب لأنه كفارة مثل كفارة هدي الصيد وهدي إلقاء التفث والإيذاء وما أشبه ذلك من الهدي الذي يلزم المحرم من إخلال بعض المناسك"[44]. ثم استرسل في ذكر أحكام الهدي إن عطب في طريقه، مقتبسا من آثار السلف ما يدلل على أحكامه وفق تلك الأقسام التي ذكرها.

ومن النماذج في ذلك: تقسيمه للأيمان عند تعرضه لمعنى قوله تعالى: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) [المائدة: 89]، فقد قال في الإيضاح باب كتاب الإيمان والكفارات: "والأصل في هذا قوله تعالى: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) [المائدة: 89]، والأيمان تنقسم قسمين: لَغوية ومنعقدة، والمنعقدة تنقسم قسمين: مباحة وغير مباحة، فاللغوية لا إثم فيها ولا كفارة لقوله تعالى: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان)، وأصل اللغو في كلام العرب: هو ما أسقط ولم يعتد به، واختلف العلماء في لغو اليمين الذي ليس فيه كفارة."[45] وقد استرسل في ذكر أقوال بعض العلماء في تحديد اللغو الذي لا تنعقد به اليمين ولا يأثم صاحبها ولا تلزمه كفارة بها، ثم قال: "وأما الأيمان المباحة التي فيها الكفارة على أربعة أقسام..."[46] فذكر أقسامها، والتي منها أن يحلف الرجل بالله نصا، وأن يحلف بالأيمان التي ليست أقساما لشيء كأن يحلف بالفرائض أو بالعهود والمواثيق وما شابه ذلك، وأن يحلف بشيء على ما يخرجه من الإسلام، وأن يحلف بمكنيات الأيمان كأن يقول في يمينه أقسمت أو حلفت، وذكر أحكام هذه الأقسام مستدلا بأدلة ومستشهدا بآثار عن علماء المذهب الإباضي في عرض للمسألة أطال فيها.

أنموذج آخر في هذا السياق: ما ذكره في باب النذور الواجبة، عندما ساق نصا مقتبسا من كتاب تفسير الخمسمائة آية في معنى النذر الواجب، قال عقب ذلك: "ومعنى هذا فيما يوجبه النظر مما رأيته واستدللت عليه أن لفظ النذر على وجهين: مطلق ومقيّد، فالمطلق: أن يقول القائل: لله عليّ نذر أن أحج

[44]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 335- 337.
[45]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 361.
[46]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 361-367.

أو أصوم أو ما سمّى من طاعة ولله، أو عليّ أن أصوم أو أحج أو ما سمى منه، فهذا واجب عليه أن يفعل ما سمى فإذا حنث لزمته كفارة النذر. والمقيد: أن يقول: لله عليّ كذا وكذا إن رزقني مالا أو إن وُلد لي غلام أو ما أشبه هذا، فهذا أيضا يلزمه ما أوجب على نفسه، وإن حنث لزمته كفارة النذر، وأما إن قال: عليّ نذر أو عليّ أن أحج أو أصوم أو ما سمّى من طاعة، إن فعلت كذا وكذا أو إن فعل الله كذا وكذا، فهذا النذر بعض يسميه نذرا وبعض يسميه يمينا، فمن جعله نذرا أوجب عليه أن يفعل ما سمى، كما روي عن جابر بن زيد رضي الله عنه قال: من ألزم نفسه شيئا ألزمناه له... وأما الشيء المنذور به فإنه لا يخلو من ثلاثة أقسام، إما أن يكون طاعة لله، وإما أن يكون معصية لله، وإما أن يكون مباحاً"[47]، نلحظ في هذا الموضع أن الشماخي يذكر أقسام النذر باجتهاده ورأيه مصرحا بأنّ تقسيمه له بما يوجبه النظر مما رأى واستدل عليه، ثم بين أحكام كل قسم، وأتبع ذلك بأقسام المنذور به وما يترتب عليه كل قسم من حكم، مع ذكر أمثلة لتلك الأقسام ويلحق بها استشهادا بآثار بعض العلماء بما يتيسر له في ذلك، والجدير بالذكر أنه يشير إلى مصادره التي يقتبس منها أصل المعلومة كما ذكر في هذا الأنموذج من كتاب تفسير الخمسمائة آية، وكنسبته الأقوال إلى أصحابها، وأنه يصرح باجتهاد رأيه بمثل قوله: "والأصل في هذا فيما يوجبه النظر..."[48]، وقوله: "والذي يوجبه النظر عندي"[49].

المطلب الثاني: الاعتماد على دلالات اللغة العربية

اللغة العربية لغة القرآن الكريم وهي من أهم مصادر تفسيره، حيث تتوقف معرفة المراد من كلماته بمعرفتها وفهم أصولها، فلا يستغني عنها من أراد التفسير وبيانه، بل لا بد له أن يكون ملما بها، وكل عالم يظهر من البيان القرآني بقدر ما أوتي من علم فيها، مما يدلّ على أن المسألة تحتاج إلى اجتهاد وإعمال رأي، حسب ملكة العالم التي يتمكن بها من الرجوع إلى اشتقاقات الكلمة وأصولها في لغة العرب، وكيفية حمل النص على الأصل اللغوي وسياقه، وارتباط ذلك بأساليب اللغة التي ينتقل فيها الكلام من معنى إلى معنى.[50]

---

[47]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 417- 419.

[48]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 421.

[49]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 422.

50) للنظر في أثر اللغة العربية ومن بينها علم النحو، ينظر: التمتمي، أحمد بن عبيد، قطب الأئمة اطفيش وآراؤه النحوية في تفسيره هيميان الزاد إلى دار المعاد، مكتبة مسقط، مسقط، 2022م، ط1، ص50-90.

في هذا السياق، نجد أن الشماخي يعتمد على اللغة العربية عند بيانه لمعاني الآيات القرآنية التي يتعرض لذكرها أو يستدل بها، وهنا نذكر نماذج من ذلك؛ حيث إنّ علوم اللغة متعددة الأبواب، كثيرة المداخل، فيصعب تعداد الأمثلة في كل باب من أبوابها، من أجل ذلك سنكتفي بالتدليل على اهتمام الشماخي بمباحثها بذكر بعض النماذج.

من ذلك: ما ذكره من بلاغة اللفظ بحسب بناء الكلمة فيما تدل عليه من معنى، عندما ذكر معنى الطهور، حيث يقول: "قال الله عز وجل: (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) [الفرقان: 58]، والطهور هو الفعول للطهارة وهو المتطهر في نفسه والمطهر لغيره، والشيء لا يسمى فعول إلا إذا كثر منه ذلك، كقولهم للكثير الأكل أكول، وللكثير الشرب شروب على المبالغة، وكل ما كان من الأوصاف أبعد من بنية الفعل فهو أبلغ"[51]، يظهر هنا ربط المعنى من النص القرآني بدلالة اللغة العربية في أساليبها البلاغية حيث يشير إلى أسلوب المبالغة، وارتباط المعنى في البلاغة ببناء الكلمة.

ومن مباحث اللغة: عندما تكلم عن مسألة غسل الأيدي إلى المرافق في الوضوء، قال: "وهو من فرائض الوضوء، والدليل قوله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) [المائدة: 6]. واختلفوا في إدخال المرافق في الغسل، والأصل في اختلافهم الاشتراك الذي في حرف إلى في كلام العرب، وذلك أن حرف إلى في كلام العرب مرة يدل على الغاية، ومرة يكون بمعنى مع، وهو بمعنى مع هاهنا"[52]. ونجده في هذا الموضع يصرح بدلالة حرف الجر (إلى) في كلام العرب.

وعندما ذكر صفة التيمم، أثبت المعنى مستعينا بمباحث اللغة العربية في أكثر من موضع، حيث قال: "قال الله تبارك وتعالى: (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) [المائدة: 6]، فقد أجمع أصحابنا أن حدّ اليد الذي أمر الله تعالى بمسحه في التيمم إلى الكف، والدليل على هذا أنّ اسم اليد يقع في كلام العرب على الكف ويقع على الكف والذراع والعضد بالسواء"[53]، فأطال في مناقشة المسألة والاستدلال لإرادة معنى الكف من الآية، ثم أكد ضمن ذلك بمراعاة اللغة العربية فيما تدل عليه بقوله: "وإنما راعى في هذا اللغة وما توجبه لعدم التحديد من الشارع"[54]، ثمّ أثار مسألة أخرى مرتبطة بدلالة حرف (من) في الآية، فقال: "واختلفوا هل يجب على المتيمم إيصال التراب إلى أعضائه أم لا؟ قال بعضهم: يجب، وقال آخرون:

---

[51]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 31.

[52]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 69.

[53]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 288-289.

[54]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 292.

لا يجب. وسبب اختلافهم الاشتراك الذي في حرف (من) في قوله تعالى: (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) فإنها ترد في كلام العرب للتبعيض، وترد لتمييز الجنس"[55]. ثمّ ذكر اختلافهم في معنى الصعيد فقال: "وسبب اختلافهم اشتراك اسم الصعيد في لسان العرب، فإنه مرة تطلقه على التراب الخالص، ومرة تطلقه على أجزاء الأرض الطاهرة"[56]. ونجده في هذا الموضع قد أطال النقاش في المسألة، وفيها اعتماد واضح بدلالة اللغة ومباحثها.

من النماذج أيضاً: فيما يتعلق بمباحث اللغة ما يكون من معاني المفردات في دلالتها عند العرب، ومن ذلك أنه ذكر معنى الجار في اللغة، وذلك عندما تكلم عن حقوق الجيران بدلالة نص الآية من قوله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا... والجار ذي القربى) [النساء: 36]، فقال: "والجار يكون بالدور والبيوت والغرف والخصوص والغيران وجميع المساكن... وأما حدّ الجوار فإنهم اختلفوا فيه"[57]، وذكر وجوها من الاختلاف في حد الجوار، ثم قال: "والجار في اللغة مأخوذ من تداني مساكنهم بعضهم من بعض، وهو المجاورة، والجيران الناس المتجاورون، قال الشاعر:

أعفّ الناس كلهم جميعا وأكرمهم وأفضلهم جوارا

ولعل لما ذكرناه اختلفوا في مقدار ذلك، أعني مقدار القرب والبعد، وكلٌ قال على ما تهيأ له مما يكون جوارا"[58].

هذه بعض النقاط المثبتة لطريقة التفسير برأي عند الشماخي في عرضه لمعاني الآيات القرآنية التي يوردها في كتابه، مع ما يصاحب ذلك من ترجيح لرأي أو اختيار لقول على قول؛ برأيه واجتهاده، مما يعدّ نافذة أخرى لإثبات جانب التفسير بالرأي عنده، وهذا يحتاج إلى دراسة أخرى يمكن أن تفرد بذلك من قبل الباحثين والدارسين في هذا المجال.

[55]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 296-297.

[56]) الشماخي، الإيضاح، 1/ 298.

[57]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 522.

[58]) الشماخي، الإيضاح، 2/ 523. وأؤكد أنني اقتصرت على ذكر النماذج من الجزءين الأول والثاني، من أجل الاختصار، وفي ذكر هذه النماذج ما يفي بالغرض ويدلّ على ما في أمثالها من طريقة المؤلف ومنهجه في تفسيره للنص الذي يستدل به.

الخاتمة

تناول هذا البحث دراسة آراء التفسير عند الشماخي من خلال كتابه الإيضاح، لبيان طريقة التفسير التي اعتمد عليها المؤلف بين طريقة التفسير بالمأثور وطريقة التفسير بالرأي، وقد توصلت إلى جملة من النتائج، منها:

- أن الشماخي جمع بين طريقتي التفسير: طريقة التفسير بالأثر وطريقة التفسير بالرأي، ويتأكد ذلك بالنظر إلى النماذج التي سيقت في الدراسة على كل طريقة منهما.
- أن الاهتمام بجانب التفسير للنص القرآني كان بارزا بصورة واضحة عند الشماخي في كتابه الإيضاح، مع أنّ الكتاب في أصله يناقش المسائل الفقهية في أبوابها المختلفة.
- أن مادة التفسير في كتاب الإيضاح مادة لها قيمتها العلمية، كمّاً ونوعاً، تبرز قيمتها من حيث الكمية في كثرة الآراء التفسيرية التي تُجمع في مؤلف خاصّ، وتبرز القيمة النوعية في احتوائها على مباحث لغوية، وارتباطها بجوانب معرفية مختلفة من فقه وعقيدة وأخلاق وغيرها.
- أن للإباضية دوراً بارزاً في علم التفسير، يدلّ على ذلك ما ضمنوه كتبهم الفقهية التي جمعت أبواب الفقه مع التفسير، يعدّ كتاب الإيضاح أنموذجا منها.

التوصيات والاقتراحات:

في ختام هذا البحث أوصي الباحثين والمعتنين بالدارسة في علوم القرآن والتفسير على وجه الخصوص بالاهتمام بالنقاط التالية:

– الاعتناء البحثي بدراسة تخصصية لشخصيات علمية لها اهتمام بالجوانب التفسيرية من علماء المذهب الإباضي، سواء أكانوا من الجانب المشرقي من علماء عمان وغيرها، أم من المغربي من ليبيا وتونس والجزائر وغيرها؛ إذ لا يزال المجال متاحا للنظر في جهودهم وما قدموه خدمة للنص القرآني.

– دراسة المؤلفات الفقهية الجامعة للأبواب المختلفة، التي يمكن أن يستخرج منها جملة من الاهتمامات التفسيرية، لبيان جهود علماء الأمة الإسلامية في ذلك، حيث لم يقتصر الأمر على جانب دون آخر.

هذا، والله ولي التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

المصادر والمراجع

– بابا عمي، محمد بن موسى، وآخرون، معجم أعلام الإباضية– قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.

– التمتمي، أحمد بن عبيد، قطب الأئمة اطفيش وآراؤه النحوية في تفسيره هيميان الزاد إلى دار المعاد، مكتبة مسقط، مسقط، ط1، 2022م.

– خبزي، دليلة بنت محمد بن عيسى، اتجاهات التفسير ومناهجه عند إباضية الجزائر من القرن 13هـ إلى أوائل القرن 15هـ، جمعية التراث، الجزائر، ط1.

– الخليلي، سماحة أحمد بن حمد، جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة، مسقط، ط1، 1984م.

– أبو الحواري، محمد بن الحواري، الدراية وكنز الغناية في تفسير خمسمائة آية، بتحقيق: محمد زناتي، د.ن، ط1، 1991م.

– الزرقاني، محمد عبد العظيم، (1995م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3.

– الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1990م.

– السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد، شرح طلعة الشمس على الألفية، وزارة التراث، مسقط، ط، 1981م.

– السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 1999م.

– الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط2، 1992م.

– الشماخي، عامر بن علي، الإيضاح، د. ن، ط4، 1999م.

– الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

– عدون، شريفي بلحاج، التفسير ومناهجه عند علماء الإباضية، بحث ألقي في الملتقى الخامس عشر للفكر الإسلامي، الجزائر، 1980.

– كرير، محمد بن عمر، تفسير الآيات للعلامة الشماخي من خلال كتابه الإيضاح، بحث تخرج مقدم للحصول على شهادة البكالوريوس بكلية العلوم الشرعية بمسقط.

- الكندي، جمعة بن سعود، منهج الشماخي في كتابه الإيضاح، بحث مقدم لاستكمال درجة الماجستير، في المعهد الأعلى لأصول الدين، بجامعة الزيتونة بالجمهورية التونسية، لعام 1423هـ/ 2002م.
- الكندي، عبدالله بن سيف، كتاب عقود العقيان في ذكر شيء من مباحث القرآن، ط1، د.ن.
- معمر، علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ مكتبة الضامري، السيب، ط2، 1993م.